المؤتمر الدولي للغة العربية وآدابها بمكة المكرمة ـ فندق هيلتون مكة للمؤتمرات
خلال الفترة ١٣ـ١٥ جمادى الآخرة ١٤٤١ هـ

أُسُسُ التَّنْشِئَةِ الأَدَبِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّة وَمَعَايِيْرُهَا

للدكتور خالد بن قاسم الجريان

أستاذ فلسفة اللُّغة العربية وآدابها

المساعد بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن

Kqj2001sa@gmail.com

المقدمة

تُشَكِّلُ معاييرُ الإبداعِ الأدبيّ واللُّغوي ركيزةً مهمَّةً في صناعةِ العملِ الإبداعِيّ، فبعدَ أنْ يَنْفَعِلَ الأديبُ بشيءٍ مَا تركَ أثرَهُ عَلَى نفسِهِ، وألهبَ عواطفَهُ، وأيقظَ أحاسيسَهُ وتفاعلَ مَعَهُ، تتوالدُ فيه المعاني وتنهالُ عليهِ المفرداتُ والألفاظُ اللُّغويَّةُ التَّعبيريَّة، وتتناغمُ الحالةُ الإبداعيَّةُ مع ذاتِ الأديبِ، وتبدأُ الموهبةُ الإبداعيَّةُ واللُّغويةُ عملَهَا حتى يكتملَ بناءُ العملِ الإبداعيّ (قصيدةً، قصةً، روايةً، مقالةً، خاطرةً، خطبةً) وغيرها.

هَذِهِ الأُسسُ أو المقوماتُ أو المعاييرُ أو الدَّواعي هي التي استخدمَهَا ابنُ قتيبةَ في قولِهِ عَنِ الشِّعرِ أو الإبداعِ الأَدَبيّ: (وللشعرِ دواعٍ تحثُّ البطيءَ وتبعثُ المتكلفَ منها: الطَّمعُ، والشَّوقُ، ومنها الشَّرابُ، ومنها الطَّرَبُ، ومنها الغَضَبُ)[١].

وَهَذِهِ المقوماتُ الشِّعريَّة أو الإبداعيَّة التي أشارَ إليها ابنُ قتيبةَ هي مَا يسميهِ علماءُ النَّفسِ اليوم بالأُسسِ أو المعاييرِ أو بالقوةِ أو الطَّاقةِ الكامنةِ في داخلِ الكائنِ الحيِّ تدفعُهُ إلى القيامِ بسلوكٍ معينٍ تحقيقًا لهدفٍ معينٍ هُوَ إشباعُ ذلكَ الدَّافعِ.

وَيُعبِّرُ عَنْ هَذَا المعنى ابنُ رشيقٍ القيروانيّ فيقولُ: (هي التي تَشْحَذُ القرائحَ وتنبِّهُ الخواطرَ وتُلِيّنُ عريكَةَ الكلامِ وتسهِّلُ طريقَ المعنى)[٢].

[١] ـ الدينوري، ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ١/ ٨٤.

تِلْكَ هِيَ مَا يُعرفُ بمقوماتِ التَّنشئةِ الأَدبيَّةِ واللُّغويةِ. ومِنْ خلالِ قراءاتي ومتابعاتي وَجَدّتُ أنَّ مقوماتِ تنشئةِ الأَديبِ أو اللُّغوي لا تخرجُ عَنِ التَّالي: القراءة، والحفظ، والاستماع، ومجالسة الأُدباءِ ومخالطتِهم، والطَّبع، والدُّربَة والمِرَان، والاستعداد النَّفْسِيّ والذّهنيّ، واختيار الأوقاتِ، والصَّنْعة أو الحِرْفَة الفنيَّةَ، ومعرفة الإعرابِ والتَّصريفِ والإملاءِ، والتَّوسع اللَّفظِيّ أو مَا يعرفُ بـ(الثَّروةِ اللَّفظيَّةِ)، والتَّواصل مع النقادِ واللغويينَ خاصة، والانضمام لنادٍ أدبيّ أو لُغويّ، ومتابعة السَّاحةِ الأدبيَّةِ واللُّغويَّةِ، والاستفادة من التقنيةِ الحديثةِ، والإكثار من مطالعةِ المعاجمِ اللُّغويةِ وقراءتها، ومعرفة المفرداتِ والألفاظِ وصيغها ومشتقاتها وجمعها وإفرادها ومعانيها ومتضادِهَا ومترادِفَها، وحفظ الشِّعرِ العربيّ قديمه وحديثه، وغيرها من الأُسسِ والمعاييرِ التي سترِدُ في ثنايا هذِهِ الورقَةِ.

وَالتَّنشئةُ الأَدبيَّةُ واللُّغويَّةُ موضوعٌ يمتازُ بجدتِهِ وأهميتِهِ؛ لصلتِهِ الوثقى بتكوينِ القدرةِ الذَّاتيَّةِ لدراسةِ الأَدبِ واللُّغَة نصوصًا وتاريخًا وتحقيقًا، وممارستِهِ إبداعًا، والبحث عن الموهبةِ الأدبيَّةِ واللُّغويَّةِ وتطويرها وتأهيلها في مختلفِ فنونِ الأَدَبِ واللُّغَة أو في بعضِهَا. فالموهبةُ في شتَّى فنونِهِ قلَّمَا تتوافرُ في الأديبِ؛ فقدْ يبرعُ في فَنٍّ أو فنينِ، وقَدْ تقعدُ به موهبتِهِ الأدبيَّةِ واللُّغويَّةِ عَنْ أنْ يبرعَ فيها جميعًا، ومردُّ ذلكَ كلِّهِ إلى كثرةِ الأُسسِ والمعاييرِ وقلَّتِها لديه.

تُمَثِّلُ التَّنشئةُ موضوعًا مهمًّا في جميعِ التَّخصُّصاتِ العلميَّةِ والنَّظريَّةِ والمهنِ والحِرَفِ، وجميعِ مَا يتَّصلُ بنشاطِ الإنسانِ في الحياةِ؛ لأنَّها تَتَّصِلُ بتكوينِ الفردِ وتأهيلِهِ في الميدانِ الَّذِي يُريدُ أنْ يتجهَ إليهِ في عملِهِ ونشاطِهِ مستقبَلاً.

وَتَبْدأُ التنشئةُ منذُ الصِّغرِ؛ لأنَّ الفردَ في صغرِهِ يكونُ أكثرَ تقبُّلاً واستيعابًا وحفظًا لما يوجَّهُ إليه. وتفوّقُهُ في تخصُّصِهِ أو مهنتِهِ أكثر نجاحًا إذا بدأَ بِهِ وهو طَرِيُّ العودِ، فارغُ الذِّهنِ نقيُّ الصفحةِ، قبلَ أنْ يكبرَ وتشغلُهُ شؤونُ الحياةِ الكثيرةِ.

ومنْ نتائجِ التنشئةِ المبكِّرة ما نراهُ من تفوّقِ كثيرٍ من الأبناءِ في تخصصاتِ آبائِهِم ومهنِهِم وحرفِهِم وهواياتِهِم، وهو تفوقٌ ربَّما يجاوزُ تفوقَ الأبِ في كثيرٍ من الأحيانِ؛ فالصَّبيُّ غالبًا ما ينهجُ نهجَ أبيهِ في نوعِ العملِ الَّذِي يمارِسُهُ أو المهنةِ، فينشأُ منذُ صغرِهِ على معرفتِهِ وتلقيهِ والتَّدرُّبِ عليهِ؛ فالتقليدُ منذُ النشأةِ نافعٌ في جميعِ المجالاتِ، وهُوَ الطَّريقُ الأمثلُ في التأهيلِ والامتيازِ في الاحترافِ والتَّخصُّصِ؛ فالصَّانعُ يتقنُ صناعَتَهُ إذا نشأَ في محيطِ أسرةٍ تمارسُ الصِّناعةَ، والفلاحُ أتقنَ مهنةَ الفِلاحةِ؛ لأنَّ أباهُ كانَ يعملُ في هذِهِ المهنَةِ، ونشأَ منذُ الصِّغرِ وهو يتلقى أُصولَها مشاهدةً وممارسةً. ويقاسُ على ذلكَ سائرِ الحِرَفِ والمِهَنِ مثل التَّدريسِ والتطبيبِ والتِّجارةِ والحِدَادةِ وفنونِ الرِّياضةِ حتَّى قيادةِ السَّيارةِ. وعَلَى الرُّغمِ من تجاربِ التَّنشئةِ، فقدَ أُهملَ تدوينُهَا

[٢] - القيرواني، ابن رشيق، العمدة: ص٣٧٥.

وإبرازُهَا على الرُّغم من أهميةِ ذلكَ؛ ليستفيدَ منها الآخرونَ في مجالاتِ الحياةِ المتنوعةِ، وممَّا يعوّضُ فقدانها صفحاتٍ مقروءةً أنَّ الحِرَفَ والمِهَنَ اليدويَّةَ لا يبرعُ فيها الفتى بالتلقينِ والوصفِ والتَّنظيرِ، بَلْ لابُدَّ من التنشئةِ التي تعتمدُ على التَّدريبِ والممارسةِ والتَّجاربِ العمليَّةِ.

ومَا يُقالُ عن الحِرَفِ والمِهَنِ التي تعتمدُ عَلَى السَّاعدِ والذَّكاءِ، يُقالُ أيضًا عَنْ فنونِ الثَّقافةِ والمعرفَةِ، ولعلَّ تجاربَ هذه الفنونِ أكثرُ وضوحًا ووفرةً بين أيدِي القُرَّاءِ والمطالعين؛ لأنها أكثرُ في مجالِ التَّدوينِ والنَّشرِ. ولا سيَّمَا في هذا العصرِ الحديثِ الَّذِي اتجهَ فيه المثقفونَ عامةً إلى إبرازِ سيرِ حياتهم وتجاربهم منذُ الصِّغرِ في صفحاتٍ مكتوبةٍ أو مرويَّةٍ.

المَبْحَثُ الأَوَّلُ

تعريفُ التنشئةِ:

التنشئةُ لغةً:

تدلُّ لفظةُ (التنشئةِ) في اللُّغةِ على التَّربيةِ والارتفاعِ فيها، بمعنى الشُّروع في تربيةِ النَّشءِ منذُ البدْءِ، والتَّقدُّمِ في مستواهَا مع تقدُّمِ الزَّمنِ، ومادةُ (نَشَأَ) ومَا تفرَّعَ منها من صيغٍ وألفاظٍ تدلُّ على معانٍ أخرى[٣].

ودَلَّلَ ابنُ فارسٍ على أنَّ (نَشَأَ) النُّونُ والشِّينُ والهمزةُ أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على ارتفاعٍ في شيءٍ وسموٍّ[٤].

وَنَشَّأَ النَّشْءَ، والنَّشْأَةُ إحداثُ الشَّيءِ وتربيتِهِ، قالَ تعالى: (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشأَةَ الأُولَى) "الواقعة:٦٢"[٥]، ومنه قولُهُ تعالى: (قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُم وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ) "الملك:٢٣"، ومنه قولُهُ تعالى: (ثمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) "المؤمنون: ١٤"، ويقالُ: (نَشَأَ فلانٌ، والنَّاشِئُ يرادُ بِهِ الشَّباب، والإنْشَاءُ هو إيجاد الشَّيء وتربيته، والنَّشأةُ بمعنى الخَلْقِ والإبداعِ وإحداثِ الشَّيءِ)[٦].

وعليه فالتَّنشئةُ في اللُّغةِ أصلُ الثُّلاثي (نَشَأَ)، فتقولُ أنْشَأَهُ اللهُ خَلَقَهُ، وأَنْشَأَ يفعلُ كَذَا أي ابتَدَأَ، ونَشَأَ في بني فلانٍ شَبَّ فيهم، ونَاشِئَةُ اللَّيلِ أوَّلُ ساعاتِهِ، وقِيْلَ ما يَنشأُ فيه من الطَّاعاتِ، ونَشَأَتِ السَّحَابَةُ ارتفعتْ، أَنْشَأَها اللهُ، والمُنْشَآتُ السُّفنُ التي رُفِعَ قِلْعُهَا (الفعل).

التَّنْشِئَةُ اِصْطِلاحًا:

التَّنْشِئَةُ تَعْنِي التَّربيةَ، وَتنشئةُ الأَطفالِ عَلَى الخُلُقِ الكريمِ: تربيتِهِم تربيةً خُلُقيَّة، وهي تعني اصطلاحًا: (العمليةُ التي تقومُ على تربيةِ الطِّفلِ أو النَّشءِ أو الشَّبابِ أو المجتمعِ، وتنشئتِهِ على القيمِ والأخلاقِ والسُّلوكِ

---

[٣] - الزبيدي، تاج العروس (نشأ): ٤٦٣/١.
[٤] - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (نشأ): ٤٢٨/٥ - ٤٢٩.
[٥] - الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ص٨٠٧.
[٦] - ينظر: ابن منظور، لسان العرب: ١ / ١٧٠، والجوهري، الصحاح: ١ / ٦٣، والفيروزآبادي، القاموس المحيط: ص٥٤.

القويم)[٧]. ونَشَأَ، يُنَشِّئُ، تَنْشِئَةً، فهو مُنَشِّئ، والمفعول: مُنَشَّأ، ونَشَّأَ الصَّبيَّ: ربَّاهُ وهذَّبَهُ وعَلَّمَهُ، ونَشَّأَ، تَنْشِئَةً، ونَشْأَةً: ربَّاه، ونشَّأه تنشئةً صالحةً، وقيلَ هي: (تهيئةُ الفردِ بأنْ يتكيفَ ويتعايشَ ويتفاعلَ مع المجتمعِ)[٨]،

وقيل إنَّها: (عمليةُ تلقينِ الفردِ قيم ومقاييس ومفاهيم مجتمعهِ الَّذِي يعيشُ فيه بحيث يصبحُ متدرّبًا على شَغْلِ مجموعةِ أدوارٍ تُحَدِّدُ نمطَ سلوكِهِ اليوميّ)[٩]، والتنشئةُ من المصطلحات التي لا تُعرفُ إلا بالوصفِ الملازِمِ لها، فالتنشئةُ الأدبيَّةُ تُعنى بالتربيةِ على حُبِّ الأدبِ بأنواعِهِ وأَشكالِهِ، والتنشئةُ اللُّغوية هي تلكَ التي تُعنَى بالاهتمامِ باللُّغَة وألفاظِهَا ومفرداتِهَا ومتونِهَا وغريبِهَا ومتضادِهَا ومترادِفِهَا وكتبِها وأعلامِهَا، وهكذا تكونُ التنشئةُ السِّياسيَّةُ فهي تلك التي تهتمُّ بالشُّؤونِ السِّياسيةِ وأحداثِهَا وأزمنتِهَا وقضاياها وأحزابها قديمًا وحديثًا، والتنشئةُ الاقتصاديَّةُ هي تلكَ التي تهتمُّ بالأمورِ الاقتصاديةِ ونظرياتها وأنواع الاقتصادِ في العالم وقضاياه، وكَذَا تكونُ التنشئةُ الأُسْرِيَّة، والاجتماعيَّة والفنيَّة والرياضيَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة وغيرها.

فالتَّنشئةُ اصطلاحًا إذًا تعني: تربية النشْءِ والشَّبابِ وتوجِيههم وتعليمِهم الفنون بأنواعها، والأدب بأقسامه وفنونه، واللغة وقضاياها؛ لأنَّ الأفرادَ الصِّغارَ حين يُنَشَّؤُون على شيءٍ يشبونَ عليه، وأفضلُ ما يُنَشَّأُ عليه الأجيالُ ممَّا يوسعُ آفاقهم، ويهذبُ وجدانهم، وينمي عقولهم هو الأدبُ الهادفُ، والفنونُ الجميلةُ، واللغةُ العربيَّةُ الفصيحةُ السَّاميةُ.

وفيه يقول الشاعر[١٠]:

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الفِتْيَانِ مِنَّا ٠٠ عَلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ أَبُوهُ

تعريفُ التنشئةِ الأدبيَّةِ واللُّغويَّةِ:

لم أجدْ تعريفًا للتنشئةِ الأدبيَّةِ أو اللُّغويَّةِ فيما بينَ يديّ من مصطلحاتِ الأدبِ والنقدِ واللُّغَة، في حين وجدتُ تعريفًا للتنشئةِ الاجتماعيَّة الذي يحدّدُ مفهومُها بأنها: (إعدادُ الفردِ منذُ ولادتِهِ؛ لأنْ يكونَ كائنًا اجتماعيًّا وعضوًا في مجتمعٍ معينٍ)[١١] والأسرةُ هي البيئةُ الأولى التي تتولى إعدادَهُ، وتُعَوِّدُهُ على آدابِ السُّلوكِ الاجتماعيّ، وتعلِّمُهُ لغةَ قومِهِ، وتراثَهُم الثَّقافيّ والحضاريّ وما يتضمَّنهُ من عاداتٍ وتقاليدٍ[١٢].

وَأَرَى أنَّ النَّاشِئَ لا يستطيعُ أنْ يستوعبَ هَذَا كُلَّهُ في بدايةِ تنشئتِهِ، فبعضُ مَا ذُكِرَ مِنْ مَهَمَّةِ المدرسةِ، ولا سيَّمَا فيما يتعلقُ بالإرثِ الثَّقافيّ والحضاريّ.

[٧] - الشربيني، د. زكريا، وزميلته، تنشئة الطفل: ص١٧-١٨.
[٨] - توفيق، حكيمي، التنشئة السياسية وتعزيز شعور المواطنة: ص٢.
[٩] - شراب، ناجي صادق، السياسة: دراسة سوسيولوجية: ص١٥٧.
[١٠] - البيت لشاعر مجهول، انظر: قبش، أحمد، مجمع الحكم والأمثال: ص٦٥.
[١١] - معجم العلوم الاجتماعية: ١٨٤.
[١٢] - المرجع السابق.

كذلكَ وجدتُ تعريفًا للتنشئَةِ الثَّقافيَّةِ، فهي: (تَشْكِيلُ الإنسانِ عن طريقِ التَّعليمِ والتَّدريبِ؛ حتى يصيرَ شخصًا قابِلاً؛ لأنْ يشاركَ المجتمع في حياتِهِ الثَّقافيَّةِ)[١٣].

ويمكنُ تعريفُ التنشئةِ الأدبيَّةِ واللُّغويةِ بأنها: (توجيهُ استعدادِ الفتى النَّاشِئ الذِّهنيّ والتَّعليميّ إلى دراسةِ الأدبِ واللُّغَة؛ لتلقِي مبادِئَهُما سماعًا وقراءةً وحفظًا، والتَّدرج في استيعابِ هذينِ الفنينِ الأدبِ واللُّغَة مرحلةً مرحلةً، واختبار موهبةِ الإبداعِ الأدبيّ واللُّغويّ فيهِ شعرًا ونثرًا من خطابةٍ وروايةٍ وقصةٍ ودراسةٍ أدبيَّةٍ أو نقديَّةٍ وإعرابٍ وبيانِ معانٍ وفهمٍ وإدراكٍ؛ حتى يكتملَ لديهِ التَّكوينُ الأدبيّ، ويصبحَ قادرًا على الإبداعِ في فنونِهما أو في بعضها، فالشِّعرُ فنٌّ، والخطابةُ فنٌّ، والرَّسائلُ الأدبيَّةُ فَنٌّ، والمقالةُ الأدبيَّةُ فَنٌّ، والرِّوايةُ فَنٌّ، والإعرابُ فنٌّ، وبيانُ المعاني فنٌّ، والتحليلُ اللُّغوي فنٌّ إلى آخرِ هذِهِ المنظومةِ من فنونِ الأدبِ واللُّغَة المعروفةِ في الأدبِ العربيّ القديمِ والحديثِ واللُّغَة العربيَّة التي يحتاجُ الأديبُ إلى الدَّرسِ والتَّدريبِ والموهبةِ للإبداعِ فيها)[١٤].

وتدلُّ التنشئةُ الأدبيَّةُ واللُّغويةُ على مرحلة التَّكوينِ الأدبيّ واللُّغوي منذُ بداياتها الأُولى؛ حتى تكتملَ وتزدهرَ. وفي مرحلةِ التَّكوينِ تبرزُ منذُ البِدايةِ مخايلُ الموهبةِ الأدبيَّةِ واللُّغويَّةِ إذا كانَ الأديبُ واللُّغوي الناشئ يملكُ الموهبةَ الفطريَّةَ للإبداعِ الأدبيّ واللُّغويّ، فهناكَ من ناشئةِ الأدبِ مَنْ قَرَضَ الشِّعرَ في سِنٍّ مبكرةٍ من حياتِهِ؛ لأنَّهُ يملكُ موهبةَ إبداعِ الشِّعْرِ، وهي موهبةٌ يغذِّيها ويقوّيها ويجلوها حفظُ الشِّعرِ، واستيعابُ نصوصِ الأدبِ عامةً، ولكنَّ الحفظَ والاستيعابَ لا يصنعانِ الموهبةَ، ولا يمنحانِ الأديبَ القدرةَ على الإبداعِ؛ فعددٌ من دارسي الأدبِ وقارئِيهِ ومستوعبيهِ وحفَّاظِ نصوصِهِ، اختبروا قدراتِهم على قَرْضِ الشِّعرِ، فقالوا شعرًا لم يرضوا عَنْهُ فهجرُوهُ إلى النَّثْرِ، ومِنْ هؤلاءِ الخليلُ بنُ أحمد الفراهيديّ، وأبو عثمانَ الجاحظِ، والمنفلوطيّ، وطه حسين...وغيرهم، وهناكَ مِنْ ناشئة اللُّغَة من اهتمَّ بالإعراب، والعنايةِ بالألفاظِ اللُّغويَّةِ غريبِهَا وجزلِهَا وتضادِّهَا وترادُفِهَا وجمعِهَا ومعانِيهَا، وهي موهبةٌ يغذِّيها ويقويّها حفظُ المنظوماتِ، والمتونِ اللُّغويةِ، ومطالعةُ المعاجِمِ، والقراءةُ في التراثِ اللُّغوي، ومعرفةُ الإعرابِ والتمكنُ منه، ومعرفةُ أعلامِهِ ومدارسِه وكتبِ الخلاف النَّحوي، ومعرفةُ القواعدِ الإملائيَّةِ، والتمكنُ من علومِ البلاغَةِ وفنونِها، ولكنَّ الحفظَ والاستيعابَ والاطلاعَ لا تصنعُ لغويًّا متمكِّنًا ما لم يكنْ لديه أستاذٌ يرجعُ إليه ويتابعُ قراءاتَهُ وحفظَهُ وإعرابَهُ وبيانَ معاني المفرداتِ اللُّغويةِ التي يُطَالِعُها، وما لم تكنْ لَدَيهِ همَّةٌ وعزيمةٌ وصبرٌ وإصرارٌ يتبعُهُ تدوينٌ ومطالعةٌ ومراجعةٌ مستمرةٌ.

وَلا يفهمُ من التّنشئةِ الأَدبيَّةِ واللُّغويةِ أنها ترجمةٌ لحياةِ الأديبِ أو لُغَويّ وسردٌ لسيرتِهِ كالتي نقرأها في كتبِ تراجِمِ الأدباءِ والعلماءِ، ولكنَّها أعمقُ من ذلكَ بكثيرٍ، فهي تعني مجموعةَ الظُّروفِ والعناصرِ والأُسسِ والمعاييرِ التي تُسهمُ في تكوينِ التنشئةِ، ومن عناصرِهَا الزَّمانُ والمكانُ والبيئةُ والمربي والموجهُ والمعلمُ والكتابُ وحلقاتُ الدَّرسِ عامةً، ويُضمُّ إلى ذلكَ في العصرِ الحديثِ الرَّوضةُ والمدرسةُ والكليَّةُ والجامعةُ

[١٣] - المرجع نفسه: ١٨٤ ـ ١٨٥.
[١٤] - الدخيل، د. حمد بن نصار، أثر البيئة في تكوين الأديب ثقافيًا وفكريًا (الجاحظ نموذجًا)، بحث غير منشور: ص٤.

والمكتباتُ والأنديةُ الأدبيَّةُ والثقافيَّةُ، والمراكزُ العلميَّةُ والبحثيَّةُ، والمجالسُ الأدبيَّة، والمنتدياتُ الثقافيَّة، ومجامعُ اللُّغَةِ، وغير ذلكَ من وسائلِ تكوينِ الأديبِ أو اللُّغويّ وتأهيلِ تجربتِهِ الأدبيَّةِ واللُّغويَّةِ.

المبحثُ الثَّاني

التَّنشئةُ الأَدبيَّةُ واللُّغويَّةُ قديمًا:

مَرَّتِ اللُّغةُ العربيَّةُ والأَدبُ العربيّ قديمًا بمرحلةٍ شفهيَّةٍ لا تقلُّ عنْ ثلاثةِ قرونٍ، وهي المُدَّةُ التي عرفنَاهَا ووصلتْ إلينا من لُغَتِنَا العربيَّةِ وأدبِنَا العربيّ الَّذِي كانَ وعاؤهُ ذاكرةَ الحفَّاظِ والرُّواةِ. وكانتْ أخبارُ الشُّعراءِ والأدباءِ وعلماءِ اللُّغةِ عامةً تتناقلُ من جيلٍ إلى جيلٍ عبرَ الرِّوايةِ الشَّفويَّةِ. ومعَ مرورِ السِّنينَ وتعدُّدِ الرُّواةِ فُقِدَ قَدْرٌ كبيرٌ من مادةِ الأدبِ واللُّغةِ، ومَا يتصلُ بهما من حياةِ الشُّعراءِ وسيرِهِم، وحياةِ علماءِ اللُّغةِ ونشاطِهم، ويعبِّرُ أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) وهو من أقدمِ الرُّواة عن هذِهِ الحقيقةِ المُرَّةِ فيما رواهُ عنه يونسُ بنُ حبيبٍ النَّحويّ (ت ١٨٢هـ) بقوله: (ما انتهى إليكم ممَّا قالتِ العربُ إلا أَقَلَّهُ، ولو جاءَكُم وافرًا لجاءَكُم عِلْمٌ وشعرٌ كثيرٌ)، وَفَسَّرَ الأستاذُ محمود محمد شاكر الوافر بالتَّامِ الَّذِي لم ينقصْ منه شيءٌ()[١٥].

وعبرَ هذِهِ المرحلةِ الشَّفهيَّةِ الطَّويلةِ باتَ منَ الصَّعبِ بلْ منَ المتعذِّرِ أنْ نعرفَ التَّفاصيلَ الدَّقيقةَ للتَّنشئةِ الأدبيَّةِ واللُّغويَّةِ التي مَرَّ بها شعراءُ هذِهِ المرحلةِ وأدباؤها وعلماؤها إلا النَّزرَ اليسيرَ التي لا تكشفُ حقيقةَ مَا كانُوا عليهِ قبلَ هذِهِ المرحلةِ.

ولكنْ من الممكنِ أنْ نرسمَ صورةً عامةً لتنشئةِ الشُّعراءِ والأُدباءِ وعلماءُ اللُّغَة، وأثرها في تكوينِهِم الشِّعريّ والأدبيّ واللُّغويّ إذَا عرفنَا طبيعةَ البيئةَ وخصائِصَهَا التي عاشُوا فيها، وتَلَقَّوا عَلَى أَديمها اللُّغةَ والشِّعْرَ وثقافةَ المجتمعِ آنذاكَ.

ومنَ المعروفِ أنَّ بيئةَ العصرِ الجاهليّ من أكثرِ البيئاتِ وضوحًا وظهورًا لدارسِ الأدبِ الجاهليّ، وكانتْ في الأَعمِّ الأغلبِ لا تختلفُ عن بيئةٍ عاشتْهَا بلادُنَا قبلَ نحوِ مئةِ عامٍ مَا عَدَا الاختلافِ في اللُّغَة، فقدْ كانتْ في العصرِ الجاهليّ فصيحةً، لغةَ شعرٍ وخطابةٍ وتخاطبٍ، وفي بيئتِنَا لهجةٌ عاميَّةٌ تحدَّرتْ مِنَ الفُصْحَى. لم يكنْ في العَصْرِ الجاهليّ كتاتيبُ ولا مدارسُ، والَّذينَ يُلِمُّونَ بشيءٍ من القراءةِ، ويعرفونَ الكتابةَ قِلَّةً نادرةً نجدهُم في المدنِ المتحضِّرةِ مثل مكَّةَ، والمدينةِ، والطائفِ، وتيماءَ، ودومةِ الجندلِ. أمَّا سائرُ بلادِ الحجازِ ونجدٍ فأغلبُ سكانها أعرابٌ يجوبونَ الصحراء مع مواشيهم لطلبِ الماءِ والكلأِ؛ لذلكَ فإنَّ التَّنشئةَ الشِّعريَّةَ واللُّغويَّةَ وما لها من أثرٍ في تكوينِ تجربَةِ الشُّعراءِ واللُّغويينَ لم تقمْ على الدَّرسِ، بلْ قامتْ على السَّماعِ والحفظِ والتَّلَقِّي الشَّفويّ()[١٦].

---

[١٥] - الجمحي، ابن سلام، طبقات فحول الشعراء ٢٥/١، وابن جني، الخصائص ٣٨٦/١، والسيوطي، المزهر في علوم العربية (النوع٤٩) ٤٧٤/٢.
[١٦] - الدخيل، د. حمد بن ناصر، أثر البيئة في تكوين الأديب ثقافيًا وفكريًا (الجاحظ نموذجًا)، بحث غير منشور: ص٥.

وكانَ لنزولِ القرآنِ الكريمِ باللُّغة العربيَّةِ الفُصْحَى دورٌ في الاهتمامِ بها، والعنايَةِ بألفاظِها، ومعانيهَا، ووضعِ الأُسسِ لها، والحفاظِ عليها مِنَ اللَّحنِ والخطأِ في القراءةِ والخطابةِ والتَّخاطبِ. وخوفًا عليها مِن اختلاطِ ألفاظِهَا بالألفاظِ الأَعجميَّةِ خاصةً بعد الفتوحاتِ، فعمدُوا إليهَا واجتهدوا في تدوينِهَا، ووضعِ أصولِهَا، وقواعدِهَا، وضوابِطِهَا، ومعجِمِها، وكان سببًا في نشأةِ علوم اللُّغةِ العربيَّةِ؛ كالنَّحو والصَّرف والأصواتِ، وفقه اللُّغةِ والبلاغةِ، ثُمّ إنَّه حقَّق للعربيَّة سعةَ الانتشار والعالميَّة، وأضاف إلى معجمِهَا ألفاظًا كثيرةً، وارتقى ببلاغة التراكيبِ اللُّغويَّة العربيَّة([١٧]).

وقدْ حَثَّ النَّبيُّ – صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- والصَّحابةُ الكرام والأئمةُ الأعلام على تعلُّمِ اللُّغةِ العربيَّةِ والأدبِ عامةً والشِّعرِ خاصةً، فمنْ ذلكَ ما رُويَ عن أبي هريرةَ -رضيَ اللهُ عنه- أنَّ النَّبيَّ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم- قال: (أَعْرِبُوا القُرْآنَ والتَمِسُوا غَرَائِبَهُ)([١٨])، وقالَ أبو بكرٍ الصِّديق- رضيَ اللهُ عنه-: (عَلِّمُوا أولادَكُم الشِّعرَ، فإنَّهُ يُعلِّمهم مكارمَ الأخلاقِ)([١٩])، وقال عمرُ بنُ الخطَّابِ- رضيَ الله عنه-: (تحفّظوا الأشعارَ، وطالِعُوا الأخبارَ، فإنَّ الشِّعرَ يدعو إلى مكارمِ الأخلاقِ، ويُعلِّم محاسنَ الأعمالِ، ويبعثُ على جليلِ الفعالِ، ويفتِّقُ الفطنةَ، ويشحذُ القريحةَ، ويَنهى عن الأخلاقِ الدنيئةِ، ويزجرُ عن مواقعةِ الرَّيَبِ، ويحضُّ على معالي الرُّتَبِ)([٢٠])، وعن عاصمٍ الأحولِ عن مورقٍ العجليِّ قالَ: كتبَ عمرُ بنُ الخطابِ -رضي اللهُ عنه-: (تعلَّمُوا الفرائضَ والسُّننَ واللَّحنَ كَما تَعَلَّمُونَ القرآن)([٢١])، واللَّحنُ بمعنى النَّحو والإعراب ومعرفة وجوه الكلامِ وتصرفه. ورويَ – أيضًا- أنَّ عمرَ بنَ الخطابَ -رضي الله عنه- قال: (تعلَّموا العربيَّة فإنَّها تزيدُ في المروءةِ)([٢٢])، وهذا معاويةُ بنُ أبي سفيانَ – رضيَ اللهُ عنه- يوجه إلى تعلِّمِ الشِّعرِ، فيقولُ: (يجبُ على الرَّجلِ تأديبُ ولدِهِ، والشِّعرُ أَعْلَى مراتبَ الأدبِ)([٢٣])، وغيرها من أقوال الصحابة والتابعين والخلفاء والعلماء.

وكانَ للمجالسِ الأدبيَّةِ والعلميَّةِ التي كانَ الخلفاءُ والأمراءُ والوزراءُ والرُّواةُ والأدباءُ واللُّغويونَ يقيمونها أيامَ الدَّولةِ الأمويَّةِ والعباسيَّةِ أثرٌ في تنشئةِ الأدباءِ وأهلِ اللُّغَة مثلها مثلُ أسواقِ العربِ في الجاهليَّةِ والإسلامِ([٢٤]).

وممَّا أسهمَ في تكوينِ التَّنشئةِ الأدبيَّةِ واللُّغويَّةِ وتطورها ما كانَ يقومُ بِهِ كبارُ الأدباءِ والرُّواةِ وعلماءُ اللُّغَةِ من تعليمِ أبناءِ الخلفاءِ والوزراءِ وعليةِ القومِ وتربيتهم، وتدريبِهِم على حفظِ الشِّعرِ واللُّغَة وضبْطِهِما،

---

[١٧] - الكريم، د. عبدالله جاد الكريم، العربية لغة العقل والفطرة والعبقريَّة: ص٧٥، وينظر: الموسوعة العربية العالمية، ، مجموعة من العلماء والباحثين: ص٨-٩، والطيب عمر، د. عبدالمجيد، منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة – دراسة تقابلية: ص٧١.

[١٨] - ينظر: الشنتريني، أبو بكر بن السراج، تنبيه الألباب على فضل الإعراب: ص٦٧٥، والألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف الجامع الصغير: ص١٣٣.

[١٩] - العلوي، المظفر، نضرة الإغريض في نُصرة القريض: ص٣٧٥.

[٢٠] - المرجع السابق.

[٢١] - ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: ص١٣، وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤/ ٢٤.

[٢٢] - ابن أبي هشام، أبو طاهر عبدالواحد بن عمر، أخبار في النحو: ص٤٣، وينظر: الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: ٢/١٠-١١، والأنباري، أبو بكر، إيضاح الوقف والابتداء: ص٣١، والزجاجي، عمدة الكتاب: ص٣٧.

[٢٣] - القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ١ / ٢٨.

[٢٤] - الجريان، د. خالد، الأحدية المباركية أول منتدى أدبي في الأحساء: ص٣٧-٧٢، وينظر: الحليبي، د. محمود بن سعود، الحركة الأدبيَّة في مجالس هارون الرشيد ١/ ٤٦٦-٤٧٧.

واستيعابِ غريبِهِما، كَمَا كانَ يفعلُ الأصمعيُّ، والمفضلُ الضَّبيّ، والكِسائيّ، والخليلُ، وأبو الأسود الدؤلي، وغيرهم من الرُّوادِ وعلماءِ الأدبِ واللُّغَة في العصرين الأموي والعباسي مع أبناءِ الخلفاءِ والوزراءِ.

وحينَ نفتِّشُ عنِ التَّنشئةِ الشِّعريَّةِ لدى امرئ القيسِ أو زهير أو النابغةَ، أو الأعشى، أو عنترةَ وغيرهم من شعراءِ الجاهليَّة وخُطبائِهَا ورواتِها نجدْ أنها لا تخرجُ عمَّا ذكرتُ آنفًا. ولدينا تجاربُ في التَّنشئةِ الشِّعريَّةِ وأثرها في تكوينِ الشَّاعريَّةِ وتأصيلِها لدى شعراءِ اللَّهجةِ العاميَّةِ أو ما يعرف بالشِّعر الشَّعبي، لا تختلفُ عن تلقِّي التَّجربةِ الشِّعريةِ لَدَى شعراءِ الجاهليَّةِ، ومنَ الممكنِ أنْ نُسميَهَا بتجربةِ السَّماعِ والتَّلَقِي والحفظِ.

وفي عصرِ التَّدوينِ الَّذِي استهلَّ مع بدايةِ القرنِ الثَّاني الهجريّ، كنَّا نتوقعُ أنْ يكونَ للتَّنشئةِ الشِّعريَّةِ للشُّعراءِ والكُتَّابِ ومَا لها من أثرٍ في تأصيلِ التَّجربَةِ الشِّعريَّةِ والأدبيَّةِ نصيبٌ من التَّدوينِ، غيرَ أنَّ الأدباءَ والعلماءَ الَّذينَ اتجهُوا إلى التَّأليفِ في السِّيرِ والتَّراجمِ أهملُوا هذِهِ المرحلةِ من حياةِ الشَّاعرِ والأديبِ، فلا نعلمُ كيفَ تلقَّى دروسَهُ الأوليَّةَ في الأدبِ، وعَلَى مَنْ تلقَّاها، ومَدَى استيعابِهِ لتجربةِ التَّلَقِّي، وأثرِهَا في شاعريتِهِ أو أدبِهِ ولغتِهِ، وكَمْ أمضى من المدَّةِ في تنشئتِهِ الأدبيَّةِ حتى تكوَّنَتْ لديهِ موهبةُ الإبداعِ، أو موهبةُ التَّأليفِ في الأدبِ واللُّغَة بحثًا ودراسةً؟

نقرأُ فيضًا زاخرًا من تراجمِ الشُّعراءِ والأدباءِ القدماءِ وعلماءِ اللُّغةِ في كتبٍ مثل طبقاتِ الشُّعراءِ لابنِ سلامٍ، والشِّعرِ والشُّعراءِ لابنِ قتيبةَ، ومَنْ اسمُهُ عمرٌو منَ الشُّعراءِ لمحمد بن داود بن الجرَّاحِ، والأوراقِ للصُّوليّ، والأَغاني لأبي الفرج الأصفهانيّ، والمؤتلفِ والمختلفِ للآمدي، ومعجمِ الشُّعراءِ للمرزبانيّ، ونزهةِ الألبَّاءِ في طبقاتِ الأُدباءِ لابنِ الأنباريّ، ومعجمِ الأدباءِ لياقوتٍ الحمويّ، فلا نجدُ فيها حديثًا عنِ التَّنشئةِ الأدبيَّةِ، وكلُّ ما يمكنُ العثورُ عليهِ ملامحَ يسيرةٍ سريعةٍ لا تمثِّلُ تنشئةً، ولا تُبْرِزُ تجربةً. ولدينا نموذجٌ ومثالٌ وهو المتنبي لا نعرفُ عن تنشئتِهِ الشِّعريَّةِ إلا اليسيرَ القليلَ على الرُّغْمِ من غزارةِ مَا كُتبَ عنهُ قديمًا وحديثًا. وقِسْ على ذلكَ جمعًا من الشُّعراءِ ممَّنْ سبقُوهُ، وممَّنْ أتوا عَلَى ساقَتِهِ. نعرفُ مثلاً أنَّ البُحتري تتلمذَ على أبي تمامٍ، ولكنْ متى بدأتْ هَذِهِ التَّلمذةُ؟ وكيفَ كانتْ؟ ومَا مُدتها؟ ونعرفُ -أيضًا- أنَّ أبا نواسٍ تتلمذَ على والبةَ بنِ الحبابِ، ومن قبلِهِمَا في العصرِ الجاهليّ زهير بن أبي سلمى المزنيّ الذي تتلمذَ على أوسِ بنِ حجرٍ التميميّ، وعلى خالِهِ بَشَامةَ بنِ الغديرِ الغطفانيّ. وجميع هؤلاءِ الشُّعراءِ ومن ماثلهم تتلمذُوا على شعراءَ آخرينَ تأثَّرُوا بهم، وحفظُوا شعرَهُم من خلالِ تنشئتِهِم الشِّعريَّة. ورُبَّمَا تسعفُ البيئةُ الثقافيَّةُ والأدبيَّةُ التي عاشَ فيها الأدباءُ في إلقاءِ ضوءٍ يسيرٍ على تنشئةِ الأُدباءِ، ولكنَّها تقصِّرُ عنِ التَّنشئةِ الأدبيَّةِ التي نتطلَّعُ إلى معرفتِهَا عن كلِّ أديبٍ من مبدعِي الشِّعرِ والنَّثرِ والدِّراساتِ في الأدبِ والنَّقدِ([٢٥]) وقسْ على ذلكَ علماءَ اللُّغَةِ والنَّحو، فنحنُ نعرفُ أنَّ أبا الأسود الدؤلي هو أوَّلُ من وضعَ علم النَّحو أخذه عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لا كنَّنا لا نعرفُ كيف

[٢٥] - الدخيل، د. حمد بن ناصر، أثر البيئة في تكوين الأديب ثقافيًا وفكريًّا (الجاحظ نموذجًا)، بحث غير منشور: ص٧-٨.

أخذه، ومتى أخذه، وطريقته في الأخذ!، وكذلكَ نعرفُ أنَّ سيبويه هو أوَّلُ من ألَّفَ في النَّحو، وأستاذه الخليل بن أحمد، لكنَّنا نجهل منهج التلمذة، وطريقتها، وأسلوبه في التلقِّي والأخذ، ومثله ابن جني الذي لزمَ أستاذَه أبا علي الفارسي أربعينَ سنة، لكنَّنا لا نعرفُ كيفيَّة التلقِّي، وأسلوبها، ومنهجها.

وفي حقيقةِ الأمرِ أنَّ إهمالَ كتبِ السِّيرِ والتَّراجمِ لهذِهِ التَّجربةِ المهمَّةِ في حياةِ الأديبِ وأدبِهِ واللُّغوي ولغته يبقى ثغرةً فارغةً في قاموسِ التَّراجمِ الأدبيَّةِ والعلميَّةِ والتَّاريخيَّةِ في التُّراثِ العربيّ، وكانَ من الممكنِ في حالةِ وجودِهَا أنْ تثريَ السَّاحةَ الأدبيَّةَ والعلميَّةَ بكثيرٍ من التَّجاربِ والخبراتِ والمعلوماتِ، وتكونَ سجلاً حافلاً دقيقًا لحياةِ الأُدباءِ وعلماءِ اللُّغَة وسيرِهِم الذَّاتيَّة في معرفةِ منهجِ التنشئةِ الأدبيَّة واللُّغويةِ على الرُّغمِ من معرفةِ ملامحَ لهذا المنهجِ.

التَّنْشِئَةُ الأَدَبِيَّةُ واللُّغويَّةُ حديثًا:

مَرَّ بِنَا في السُّطورِ السَّابقةِ أنَّ التَّنشئةَ الأدبيَّةَ واللُّغويَّةَ في التراثِ الأدبِي العربيّ القديمِ كانتْ غائبةً سوى لمحاتٍ وإشاراتٍ نجدُها في نشأةِ بعضِ الأدباءِ وعلماءِ اللُّغَة. وذكرتُ أنَّ معرفةَ خصائصِ البيئةِ الثقافيَّةِ تقدِّمُ لنا تصورًا عامًّا عنْ أثرِهَا في تكوينِ التَّنشئةِ الأدبيَّةِ واللُّغويَّةِ في حياةِ الأدباءِ والعلماءِ الذينَ عاشُوا في هذِهِ البيئةِ؛ فبيئةُ البصرةِ تبدو للباحثِ جليَّةً واضحةً بكثرةِ علمائِهَا وأدبائِهَا، وبالعلومِ التي نشأتْ في رحابها وتطوَّرتْ ونضجتْ، ومَا يقالُ عنِ البصرةِ يقالُ عن الكوفةِ، وهي المحطَّةُ الثَّانيةُ في الرِّوايةِ ونشأةِ علومِ اللُّغَة وازدهارِهَا، وما ينطبقُ على هاتينِ البيئتينِ ينطبقُ على بغدادَ، وقرطبةَ وإشبيليةَ في الأندلسِ([٢٦]).

أمَّا بيئاتُ اللُّغَة والأدبِ العربيّ الحديث فهيَ أكثرُ جلاءً ووضوحًا؛ لقربها مِنَّا ولكثرةِ ما يكتبُ عنها في الكتبِ والصُّحفِ ووسائلِ الإذاعةِ والنَّشرِ مقروءةً ومسموعةً ومشاهدةً. فبيئةُ مصرَ والمملكةِ العربيَّةِ السُّعوديَّةِ، والعراقِ والشَّامِ والمهاجَرِ الأدبيَّةِ هي من الوضوحِ بحيث لا تحتاجُ إلى إيضاحْ. وتراجم الأدباءِ والعلماءِ وسيرِهم أضحتْ تُعنى بالتفاصيلِ الدَّقيقةِ المتعلقةِ بنشأةِ الأديبِ واللُّغويّ ودراستِهِ، وتلقِّيهِ دروسَ الأدبِ واللُّغةِ، وغَدَا الحديثُ عن سيرةِ الأديبِ واللُّغوي يجمعُ بينَ الفائدةِ والمتعةِ. والدِّراساتُ النِّظاميَّةُ بدايةً من الكُتَّابِ والمدرسةِ والكليةِ والجامعةِ أسهمتْ في تقديمِ معلوماتٍ مفصلَّةٍ عن التَّنشئةِ الأدبيَّةِ واللُّغويةِ لمن أصبح أديبًا أو لغويًّا بارعًا.

وإذا كانَ الأدباءُ القُدامَى من شعراءَ وكتابٍ ومؤلفينَ وعلماءِ لُغةٍ قليلي التَّحدثِ عن أنفسِهم، أو أنهم كانُوا يتحدثونَ عن حياتهم وأدبهم في المجالسِ والأنديةِ منْ غيرِ أنْ يدونَ شيئًا من ذلكَ، فإنَّ الأدباءَ وعلماءَ اللُّغَة المعاصرين كثيرو التَّحدثِ عن أنفسِهم، ويعرضونَ لدقائقَ كثيرةٍ من وقائعِ حياتهم، ولا يكتفونَ كَمَا يفعلُ المترجمُ القديمُ بذكرِ الاسمِ والنَّسبِ، ثمَّ يقفزُ سنواتٍ فنرى الشَّاعرَ شاعرًا والنَّاثرَ ناثرًا، والمؤلفَ مؤلفًا وعالمَ

[٢٦] - المرجع السابق: ص١٠.

اللُّغَة عالمًا، وربَّمَا يذكرُ بعضَ الأخبارِ أو الأحداثِ في حياةِ من يترجمُ لَهُ، فحينَ نقرأُ هذِهِ التَّرجمةَ لا نظفرُ بما نتطلعُ إليهِ من معلوماتٍ، فنبحثُ في كتبٍ أُخرى ترجمتْ لَهُ، لعلَّنا نجدُ ما نبحثُ عنهُ، وخُذْ مثلاً كتاب البُلغَةِ في تراجُمِ أئمةِ النَّحوِ واللُّغَة للفيروز آبادي، أو طبقات النَّحويين للزَّبيدي، أو طبقات الأدباء لابن الأنباري، فإنَّكَ عندما تقرأُ لترجمةِ عالمٍ من علماء النَّحو أو اللُّغة أو الأدب فأنت تقرأ ترجمةً بما لا تزيدُ عن سطرينِ أو ثلاثة. أمَّا أدباءُ العصرِ الحديثِ ولغويُّوه فقدْ اتجهُوا إلى تدوينِ سيرهم الذَّاتيَّةِ بدءًا من الولادةِ أو مِنْ مرحلةِ الطُّفولَةِ، وعُنُوا بتدوينِ كثيرٍ مِنْ وقائعِ نشأتهم وحياتهم ممَّا كانَ يُعْرِضُ عنه المترجمُ القديم. وما يُقالُ عن الأديبِ العربيّ المعاصرِ يقالُ –أيضًا- عنِ الأديبِ في أدبِ الغرب، بل إنَّ الأديبَ الغربيّ يكونُ في تدوينِ سيرةِ حياتِهِ، وحديثِهِ عن نفسِهِ أكثرَ صراحةً وكشفًا من الأديبِ العربيّ الَّذِي تحكمُهُ قواعدُ الدِّينِ والعاداتِ والتَّقاليدِ الاجتماعيَّةِ.

وبإمكانِ الباحثِ أنْ يتناولَ بالتَّفصيلِ التَّنشئة الأدبيَّة لطهَ حُسينٍ من خلالِ كتابِهِ الأيَّامِ، وأحاديثِهِ الكثيرةِ عن نشأتِهِ الأدبيَّةِ ودراستِهِ، ومَا صادَفَهُ في أثناءِ الطَّلَبِ والعملِ مِنْ مواقفَ وأحداثَ في الكُتَّابِ والأزهرِ والجامعةِ وفرنسا، ثم الجامعةِ مرَّةً أخرى. وتنشئةُ العقادِ الأدبيَّةِ والثقافيَّةِ ليستْ أقلَّ وضوحًا وتفصيلاً من تنشئةِ طَهَ حسين، ومثلهما العلامةُ المحقِّقُ اللُّغوي الشيخُ عبدالخالق عضيمة حيثُ كتبَ عنه تلميذُهُ الأستاذُ الدكتورُ سهو العتيبي كتابًا ضخمًا تحدَّث فيه عن سيرته، ونشأتِهِ، وتعلمِّهِ، ودراستِهِ، وعلمائِهِ، ومؤلفاتِهِ، ومثله الأستاذ الدكتور تمام حسان وغيرهما من علماء اللُّغة(٢٧).والأدبُ السُّعودي خاضَ تجربةَ تدوينِ السِّيرِ الذَّاتيَّةِ والأحاديثِ عن النَّفسِ والنشأةِ، وقدْ أسهمَ في هَذَاْ الفنِّ النثريّ الأدباءُ وغيرُ الأدباءِ، ويعنينا هُنا الأدباءَ الذينَ أسهمتْ سيرهُم الذاتيَّة المنشورة في تجليةِ تنشئتِهِم الأدبيَّةِ، وما أفضتْ إليهِ من تكوينِ شخصياتهم في الأدبِ والثَّقافَةِ واللُّغَة(٢٨).

المبحثُ الثَّالثُ

أُسسُ التنشئةِ الأدبيَّةِ واللُّغويَّةِ(٢٩):

نقصدُ بأُسسِ التَّنشئة الأدبيَّة واللُّغويَّة أي مقومات أو معايير الإبداع الأدبيّ واللُّغويّ لدى الشَّباب أو هي عواملُ تنميةِ الإبداعِ الأدبيّ واللُّغويّ أو ما يعرفُ بصناعةِ الأديبِ أو اللُّغوي، وهي تشملُ اكتشافُ مواهبِ الشَّبابِ الإبداعيَّةِ الأدبيَّةِ واللُّغويَّةِ، ومعرفة الاستعداد الذَّاتي لدى المبدع، ثم تكوين الشَّاب القَادر على صياغة أسلوبِهِ صياغةً صحيحةً، وعلى فهمِ الأشكالِ العامةِ لكتابةِ الفنونِ الأدبيَّة، والاطلاع على إبداعات الأدباءِ القدماءِ

---

٢٧ - ينظر: السكوت، د. حمدي ود. مارسدن جونز، موسوعة أعلام الأدب المعاصر في مصر، الجزء الأول: طه حسين، الجزء الثاني: إبراهيم المازني، الجزء الثالث: عبدالرحمن شكري، الجزء الرابع: نجيب محفوظ، الجزء الخامس: عباس العقاد.

٢٨ - الدخيل، د. حمد بن ناصر، أثر البيئة في تكوين الأديب ثقافيًا وفكريًا (الجاحظ نموذجًا)، بحث غير منشور: ص١١.

٢٩ - ينظر: الربيعي، د. حامد صالح، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء: ص١٥-٥٥، لاشين، د. كمال عبدالباقي، الإبداع الشعري عند العرب: ص٤٧-٧٦، سويف، د. مصطفى، الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر: ص١٨٨-١٨٩، خفاجي، د. محمد عبدالمنعم، عبقرية الإبداع الأدبي أسبابه وظواهره: ص٩-٢٧، عبدالخالق، د. مفيدة إبراهيم، في الإبداع الأدبي المعاصر: ص١٧-٤٢، صالح، عبدالهادي، محفزات الإبداع في الشعر: ص١٥-١٨٠، ماضي، د. شكري عزيز، في نظرية الأدب: ص١٢٦-١٣٩، السامرائي، ماجد صالح، الاكتشاف والدهشة – حوار في دوافع الإبداع مع جبرا إبراهيم جبرا-: ص٤١-١٠٢، المجالي، د. جهاد، دراسات في الإبداع الفني في الشعر: ص١٣ – ٥٧، وص١٩٣ – ٢١٣.

والمعاصرينَ الكبار في جميع مجالاتِ الأدبِ واللُّغَة وأجناسهما()[٣٠] يقول ابن سلامٍ الجمحي: (وللشِّعرِ صناعةٌ وثقافةٌ يعرفُهَا أهلُ العلمِ كسائرِ أصنافِ العلمِ والصناعاتِ)()[٣١].

فمنْ عبقريَّةِ الإلهامِ عند أفلاطون، إلى عبقريَّةِ المقدرة الفنيَّة عند أرسطو يبدأ الأديب عمله الفني، ومن الانفعالِ بالجمالِ وعمقِ الصُّورةِ للفكرةِ وقوةِ المقدرةِ اللُّغويَّة وسعةِ القراءةِ للتراث يبدأُ الأديبُ.

ومن مجموعِ العلاقاتِ بينَ الألفاظِ في النَّصِّ يتكونُ الأسلوبُ كما قالَ عبدُالقاهرِ الجرجانيّ، ومن الاهتمامِ بالحقيقةِ الجماليَّةِ (جماليات الشَّكل ووحدة العمل الأدبيّ) كَمَا قال كروتشه يبدأُ النَّقدُ.

فأساسُ الإبداع الأدبيّ عند الجاحظِ يكمنُ في الألفاظِ أو النَّظمِ، وعندَ ابنِ المعتز يكمنُ في البديعِ، وعندَ الآمديّ في الالتزامِ بعمودِ الشِّعرِ، والذَّوقُ هو حارسُ هذه الجمالياتِ والمدافعُ عنها.

ويقفُ عبدُالقاهرِ الجرجانيّ عندَ ضرورة الارتباطِ بين اللَّفظِ والمعنى في العملِ الأدبيّ، ويجعلُ الفصاحةَ والبلاغةَ والبيانَ هي في جمالِ هذا الارتباطِ.

مِنْ هَذِهِ الأُسُسِ أو المقوماتِ مَا يَلِي:

أولاً: القراءة:

وهي أهمُّ أُسُسِ ومقوماتِ التَّنشئة الأدبيَّة واللُّغويَّة، وهي الركيزة الأولى في صناعة الأديبِ واللُّغويّ.

يقولُ أحدُ الكتَّابِ: لا أستطيعُ أنْ أكتبَ صفحةً ما لم أقرأْ مائةَ صفحةٍ، فهي زادُ الكاتبِ وغذاءُ الرُّوحِ والنَّفسِ، ومنْ أهمِّ الكتبِ الأدبيَّة واللُّغويَّة التي ينبغِي تنشئةُ الشَّبابِ عليها، كتابُ أدبِ الكاتبِ لابنِ قتيبةَ، والكاملُ للمُبَرِّدِ، والبيانُ والتبيينُ للجاحظِ، والأمالي لأبي عليٍّ القالي، قال ابنُ خلدون في مقدمته: (سمعْنَا من شيوخِنَا في مجالسِ العلمِ أنَّ أصولَ هذا الفنِّ يعني (الأدب) وأركانه أربعةُ دواوينَ هي: أدبُ الكاتبِ لابنِ قتيبةَ، الكاملُ للمبرِّدِ، والبيانُ والتبيينُ للجاحظِ، والأمالي لأبي عليٍّ القالي، وما سوى هذه الأربعةِ فتبعٌ لها وفروعٌ عنها)()[٣٢] ومن الكتبِ –أيضًا – كتابُ جمهرةِ أشعارِ العربِ لأبي زيدٍ القرشيّ، الشِّعر والشُّعراء لابن قتيبةَ، وعيونِ الأخبارِ لابنِ قتيبةَ نفسه، ونشوارِ المحاضرةِ للتَّنوخي، الزهرةِ للأصبهاني، والأغاني لأبي الفرجِ الأصفهاني، والعقد الفريد لابنِ عبدربه الأندلسي، ومقامات الحريري، ويتيمة الدهر للثعالبي، وفصيح ثعلب، والنوادر في اللُّغة لأبي زيدٍ القرشي، والألفاظ للبغدادي، وفقه اللغة وسر العربية للثعالبي، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، والمثل السائر لابن الأثير، ودلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني، والمفضليات للمفضل الضبي، والأصمعيات للأصمعي، ومعاجم اللُّغة مثل: العين للخليل بن أحمد، وتهذيب اللغة للأزهري، ولسان العرب لابن منظور، تاج العروس للزبيدي، وغيرها من كتب الأدب واللُّغة والبلاغة وكتب التفاسير والحديث النبوي وغريبهما، وكتب الإعراب.

---

[٣٠] - الجريان، د. خالد بن قاسم، مقومات صناعة الأديب، بحث غير منشور: ص٣.
[٣١] - طبقات فحول الشعراء ٥/١.
[٣٢] - ابن خلدون، المقدمة: ص٤٧٦.

ثانيًا: الحفظُ:

تُعدُّ مهارةُ الحفظِ منْ أهمِّ أسسِ التَّنشئةِ الأدبيَّةِ واللُّغويَّة، وهي قدرةُ النَّاشِئ على استظهار ما حفظه من ألفاظِ اللُّغَة ومعانيها، وقصائد الشِّعر وخاصةً المعلقات العشر، والمقامات، والأمالي، وتراجم الأدباء والعلماء، وحفظ القصصِ والطرائف والنوادر، وحفظ المتون اللُّغوية، والمنظومات النَّحويَّة واللُّغويَّة مثل: مثلثات قطرب، وألفية ابن مالك في النَّحو، ومتن الفصيح لثعلب في اللغة، ومتن الآجروميَّة في النَّحو، ومتن ملحة الإعراب للحريري، وغيرها.

ثالثًا: الطَّبعُ، وهي ما تعرفُ باسمِ الموهبةِ الإبداعيَّة:

الطَّبعُ منْ أهمِّ الأُسسِ التي لابُدَّ منها لكلِّ عملٍ أدبي أيًّا كانَ جنسُهُ، ولا خيارَ للأديبِ أو اللُّغوي في ذلكَ؛ لأنَّ الطَّبعَ والطَّبيعةَ تعني الخليقةَ والسَّجيَّةَ التي جُبِلَ عليها الإنسانُ، وطَبَعَهُ اللهُ على الأمرِ طبعًا أي فَطَرَهُ اللهُ عليه.

والطَّبعُ على هَذَاْ النَّحوِ يعني تلكَ القوةَ الفطريَّةَ أو الموهبةَ أو الغريزةَ كما عبَّرَ عنها الجاحظُ. وهي التي يتمكنُ بها الأديبُ من امتلاكِ ناصيةِ القولِ والبراعةِ فيهِ، ومن غير أنْ يتوافرَ له ذلكَ فإنَّ كلامَهُ يأتي متكلَّفًا مذمومًا من الوجهةِ البلاغيَّةِ، كما هو الحال في كلامِ مسيلمةَ الكذَّابِ عندما أرادَ معارضةَ القرآنِ الكريمِ؛ لإنَّهُ لا يملكُ الموهبةَ فجاءَ كلامَهُ مُسْيِنًا مذمومًا كذَّابًا لا قيمةَ له، لذلكَ قالَ سيدُنَا أبو بكرٍ الصديق -رضي الله عنه- حينَ طرقَ سمعَهُ (أشهدُ أنَّ هَذَاْ الكلامَ لم يخرجْ منْ بالٍ)[٣٣] أي لم يصدرْ عن طبعٍ أو تجربةٍ وإنَّما هو كلامٌ متكلَّفٌ يظهرُ عليه قَهْرَ الكلامِ واغتصابَ الألفاظِ.

والطَّبعُ ضِدُّ التَّكَلُّفِ، فالأديبُ واللُّغوي إمَّا أنْ يكونَ مطبوعًا يصدرُ عن سجيةٍ ، وإمَّا أنْ يكونَ متكلَّفًا يَقْتَسِرُ القولَ اقتسارًا.

والمطبوعُ من الشُّعراءِ كَمَا قالَ ابنُ قتيبةَ: (منْ سمحَ بالشِّعرِ، واقتدرَ عَلَى القَوافي، وأراكَ في صدرِ بيتهِ عجزه، وفي فاتحتِهِ قافيته، وتبيَّنْتَ على شعرِهِ رونقُ الطَّبعِ ووشي الغريزةِ، وإذا امتحنْ لم يتلعثمْ ولم يتزحرْ)[٣٤].

رابعًا: الدُّرْبَةُ والمِرَانُ:

وهي تعني صقلَ الموهبةِ، فالكلامُ لا يزدانُ بمقياسِ الطَّبعِ إلا إذَا صُقِلَ بالدُّربةِ والتَّمَرُّسِ بالأساليبِ.

وقدْ نبَّه إلى ذلكَ الجاحظُ حينَ قالَ: (يقالُ إنهم لم يَرَوا خطيبًا قطّ بلديًّا إلا وهو في أوَّلِ تكلُّفِهِ لتلكَ المقاماتِ، كانَ مستثقَلاً مستصِلِفًا أيَّامِ رياضتِهِ كلِّهَا، إلى أنْ يتوقحَ أي (يتمكنَ) وتستجيبُ لَهُ المعاني، ويتمكَّنُ من

[٣٣] - الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد، بيان إعجاز القرآن: ص٥٦.
[٣٤] - الشعر والشعراء: ١/ ٩١.

الألفاظِ، إلا شبيبَ بنَ شيبةَ، فإنَّه قَدْ ابتدأَ بحلاوةٍ ورشاقةٍ وسهولةٍ وعذوبةٍ، لم يزلْ يزدادُ منها حتى صَارَ في كلِّ موقفٍ يبلغُ بقليلِ الكلامِ مَا لا يبلغُهُ الخطباءُ المصاقعُ بكثيرِهِ)[٣٥].

وَأَكَّدَ القاضي الجرجاني على الدُّربَةِ في الشِّعرِ فقالَ: (إنَّ الشِّعرَ عِلْمٌ من علومِ العربِ، يشتركُ فيه الطَّبْعُ والرِّوايةُ والذَّكاءُ، ثم تكونُ الدُّربةُ مادةً له، وقوةً لكلِّ واحدٍ من أسبابِهِ، فمنْ اجتمعتْ له هذِهِ الخصالُ، فَهُوَ المحسنُ المُبَرَّزُ، وبقدرِ نصيبِهِ منها تكونُ مرتبَتُهُ من الإحسانِ)[٣٦].

فالدُّربةُ عندَهُ تنميةٌ للطَّبعِ ومعيارٌ لابُدَّ من وجودِهِ قبلَ أنْ يتَّجِهَ الأديبُ أو اللُّغويّ إلى صياغةِ النَّصِّ ليبلغَ بصياغتِهِ مراتبَ الإجادةِ، والطَّبعُ الَّذِي يتحقَّقُ بِهِ المقياسُ هو (الطَّبعُ المُهَذبُ الَّذِي قَدْ صقلَهُ الأدبُ، وشحذتْهُ القريحةُ، وجلَّتْهُ الفِطْنَةُ، وأُلهِمَ الفصلَ بينَ الرَّدِيءِ والجيدِ، وتصوَّرَ أمثلةَ الحسنِ والقبيحِ)[٣٧].

خامسًا: الاستعدادُ النَّفْسِي والذِّهْني أو ما يعرفُ بالتَّفَرُغِ العَقْلِي:

وَهُوَ مِنْ أهمِّ مقوماتِ التَّنشئةِ الأدبيَّةِ واللُّغويَّة، فَعَلَى الأديبِ أنْ يتوخى الظُّروفَ النَّفسيَّةَ والذهنيَّةَ التي يكونُ فيها مُهيَّأً للتعبيرِ؛ لأنَّ الحالةَ النَّفسيَّةَ للأديبِ أو اللُّغوي عندَ إنشاءِ النَّصِّ تنعكسُ عَلَى صياغتِهِ جمالاً وقبحًا، وهَذَا مَا أشارَ إليه بشرُ بنُ المعتمرِ في صدرِ صحيفتِهِ، فقالَ: (خُذْ من نفسِكَ ساعةَ نشاطِكَ، وفراغِ بالِكَ وإجابتِهَا إيَّاكَ، فإنَّ قليلَ تلكَ السَّاعةِ أكرمُ جوهرًا، وأشرفُ حسبًا، وأحسنُ في الأسماعِ، وأَحْلَى في الصُّدورِ، وأسلمُ من فاحشِ الخطأِ، وأجلبُ لكلِّ عينٍ وغرَّةٍ، من لفظٍ شريفٍ ومعنى بديعٍ، واعلمْ أنَّ ذلكَ أجدى عليكَ ممَّا يعطيكَ يومُكَ الأَطولُ بالكدِّ والمطاولةِ والمجاهدةِ، وبالتَّكَلُّفِ والمعاودةِ)[٣٨].

فَبِشْرٌ ينبِّهُ هنا إلى أمرٍ منْ أهمِّ الأمورِ التي تكونُ عونًا للطَّبعِ ليأتيَ ما يصدرُ عنه مطبوعًا جميلاً، بعيدًا عن أيْ مظهرٍ منْ مظاهرِ التَّكَلُّفِ، ومَا يجنيه عَلَى العملِ الأَدَبيَّ مِنْ مظاهرِ القُبْحِ.

سادسًا: اختيارُ الأَوقاتِ:

حاولَ ابنُ قتيبةَ أنْ يحصرَ الأَوقاتَ التي يتوقَّعُ أنْ تكونَ فيها النَّفسُ عَلَى أتمِّ الاستعدادِ والإجابةِ للطَّبعِ، وذلكَ بقوله: (وللشعرِ أوقاتٌ يسرعُ فيها أَتِيُّهُ، ويسمحُ فيها أَبِيُّهُ: منها أوَّلُ الليلِ قبلَ تغشِّي الكَرَى، ومنها صدرُ النَّهارِ قبلَ الغِذَاءِ، ومنها يومُ شربِ الدَّواءِ، ومنها الخلوةُ في الحبسِ والمسيرِ، ولهذِهِ العِلَلِ تختلِفُ أشعارُ الشَّاعِرِ ورسائِلُ الكُتَّابِ)[٣٩].

هَذِهِ أهمُّ الأوقاتِ التي يمكنُ للأديبِ أنْ يستثمرَهَا لاحتمالِ إجابةِ النَّفسِ فيها أكثر من غيرِهَا، وَقَدْ نبَّهَ القدماءُ عليها لما لاحظُوا مِنْ أَنَّ هناكَ أوقاتًا لا يتأتى فيها القولُ الجيِّدُ، وتبيَّنُوا أنَّ للشِّعرِ تاراتٍ يبعدُ فيها قريبُهُ، ويستصعبُ فيها رِيْضُهُ، وكذلكَ الكلامُ المنثورِ في الرَّسائلِ والمقاماتِ والجواباتِ، فقدْ يَتَعَذَّرُ على الكاتبِ الأَديبِ

---

[٣٥] - البيان والتبيين: ١١٢/١.
[٣٦] - الوساطة: ص١٥.
[٣٧] - المرجع السابق: ص٢٥.
[٣٨] - الجاحظ ، البيان والتبيين:١٣٥/١.
[٣٩] - الشعر والشعراء: ٨٧/١.

وعَلَى البليغِ الخطيبِ، ولا يُعْرَفُ لذلكَ سببٌ، إلا أنْ يكونَ من عارضٍ يعترِضُ على الغريزةِ من سوءِ غذاءٍ أو خاطرٍ غَمٍّ.

وكانَ الفرزدقُ يقولُ: (أنا أَشْعَرُ تميمٍ (عند تميم)، وربَّمَا أتتْ عليَّ ساعةٌ، ونَزْعُ ضرْسٍ أسهلُ عليَّ من قولِ بيتٍ)[٤٠]:

فينبغي للأديبِ أنْ يتخيَّرَ الأوقاتَ والظُّروفَ النَّفسيَّةَ المناسبةَ للتَّعبيرِ عمَّا يريدُ، وإلا واجهَ صعوبةَ وعنتًا، وجاءَ كلامُهُ مفتقرًا لهذا الأساسِ، وفي ذلكَ يقولُ أبو هلالٍ العسكريّ: (إذا أردتَ أنْ تصنعَ كلامًا فأخطرْ معانيه ببالِكَ، وأعمِلْهُ ما دُمْتَ في شبابِ نشاطِكَ، فإذا غَشِيَكَ الفتورُ، وتخوَّنَكَ الملالُ، فأمسكْ، فإنَّ الكثيرَ مع الملالِ قليلٌ، والنفيسُ مع الضَّجَرِ خسيسٌ، والخواطرُ كالينابيعِ يُسْقَى منها شيءٌ بعدَ شيءٍ، فتجدُ حاجتَكَ من الرَّيِّ، وتنالُ أربَكَ من المنفعةِ)[٤١]:

سابعًا: التَّقَنِيَةُ أو الحَرْفِيَّةُ الفَنْيَّةُ أو مَا يُعْرَفُ بالصَّنْعَةِ:

وَهِيَ الَّتي يكتسبُ بها العملُ الأدبيّ واللُّغوي صفةَ الإتقانِ والجودةِ، فإذا كانتِ الموهبةُ هي الأساسُ في فنِّ الأدبِ، وهي الشَّرْطُ الأَوَّلُ في الإبداعِ، فإنَّ ذلكَ لا يعني أنَّ وجودَ الموهبةِ يُغْنِي في تجويدِ العملِ الأَدَبيّ بَلْ لابُدَّ من مراعاةِ التَّقاليدِ الفنيَّةِ التي جَرَى في العُرْفِ الفَنِّي مراعاته، وهذا يعني أنَّ الصَّنعةَ مكمِّلَةٌ للموهبةِ، فإذَا اجتمعتا: أي الموهبةُ والصَّنعةُ عَلَى تمامِهِمَا كانَ الكلامُ جيّدًا.

والعربُ يتحدثونَ عن الأدبِ عَلَى أنَّهُ صناعةٌ لها تقنياتها الفنيَّة، فقدْ ذكرَ الجاحظُ أنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ رضي اللهُ عنه قالَ: (خيرُ صناعاتِ العربِ أبياتٌ يقدِّمُها الرَّجلُ بين يدي حاجته يستميلُ بها الكريمَ، ويستعطفُ بها اللئيمَ)[٤٢]:

والصَّنعةُ أو الصِّناعةُ تعني: (العلمَ المتعلِّقَ بكيفيَّةِ العملِ)[٤٣]:

فَالشِّعرُ له تقنياتُهُ وأساليبُهُ ومعاييرُهُ ينبغي للشَّاعرِ معرفتُهَا كالأوزانِ مثلاً، والصورِ، والألفاظِ الشَّاعريَّةِ، والخيالِ، والعاطفةِ، وللقصةِ عناصرُها المعروفةُ، وكذلكَ فَنُّ كتابةِ الرَّسائلِ والخطبِ والمقالةِ والخاطرةِ والسِّيرةِ، فلكلٍّ منها عناصرُها التي ينبغي للأديبِ معرفتُهَا والدِّرايةُ بها، يقولُ ابنُ سلامٍ الجمحيّ: (وللشِّعرِ صناعةٌ وثقافةٌ يعرِفُهَا أهلُ العلمِ كسائرِ أصنافِ العلمِ والصَّناعاتِ)[٤٤]؛ ولا أَدَلَّ عَلَى أنَّ العربَ كانُوا ينظرُونَ إلى الأدبِ عَلَى أنَّهُ صنفٌ من أصنافِ الصِّناعاتِ من ظهورِ بعضِ المؤلفاتِ التي تقومُ عَلَى هذا التَّصَوُّرِ مثل: (كتاب الصناعتينِ – الكتابةِ والشِّعرِ) لأبي هلالٍ العسكريّ، وكتابِ (إحكامِ صنعةِ الكلامِ) للكُلاعِيّ.

---

[٤٠] - المرجع السابق: ١/ ٧٦-٨٧.
[٤١] - الصناعتين: ص١٥١.
[٤٢] - البيان والتبيين: ١٠١/٢.
[٤٣] - التعريفات، الجرجاني: ص١٣٤.
[٤٤] - طبقات فحول الشعراء: ٥/١.

ثامنًا: معرفةُ الإعرابِ والتَّصريفِ والإملاءِ:

فينبغي عَلَى الأديبِ أو اللُّغوي معرفةُ الأُصولِ النَّحويَّةِ والأُسُسِ الصَّرفيَّةِ للأفعالِ والأَسماءِ، ومعرفةُ مواقعِ الكلامِ منْ مبتدأٍ وخبرٍ، وفاعلٍ ومفعولٍ، واسمِ مجرورٍ، ومضاف إليه، وصفةٍ، وبدلٍ، وتوكيدٍ، وعطفٍ، وحالٍ، وتقديمٍ وتأخيرٍ، والنَّحو يجمِّلُ الكلامَ ويحليهِ ويحسِّنُهُ، ويجبُ على الأديبِ واللُّغوي التَّدرجَ في تعلُّمِ الإعرابِ والتَّصريفِ من السَّهلِ فالصَّعبِ فالأصعبِ ثم التوسعِ في معرفةِ الخلاف النحوي ومدارسه وأعلامه وكتبه وقضاياه، ومنْ أهمِّ الكُتبِ النَّحويَّةِ السَّهلةِ اليسيرة التي ينبغي على الأديبِ واللُّغوي مدارستها كتاب شرحِ قَطْرِ النَّدى وبلِّ الصَّدى، وشرحِ شذورِ الذَّهبِ لابنِ هشامٍ الأنصاريّ، وكتاب الآجروميَّةِ لابنِ آجروم ثم ينتقل إلى كتابِ الألفية وشروحها ثم التوسع أكثر فأكثر. أمَّا من الكُتُبِ الصَّرفيَّة كتابُ شذا العَرْفِ في فنِّ الصَّرف، ثم دراسة ما يردُ من موضوعات صرفيَّةٍ في بعضِ الكُتُبِ النَّحويَّةِ مثل موضوع الإعلالِ، والإبدالِ، والإمالةِ، والقلبِ، والتَّصغيرِ وغيرها، ثم مطالعة كتب أوسع قليلاً مثل كتاب التَّصريف لابنِ المؤدب، وكتاب التَّصريف لابن جني، وكتاب توجيه اللُّمع لابن الخباز، ثم التوسع أكثر والقراءة والمطالعة والمدارسة في كتاب مثل كتاب الشَّافية لابن الحاجب، وشرح الرَّضي عليه، ومن الكتبِ التراثيَّة القديمة التي تناولتْ عنايةَ النَّاشِئ باللُّغةِ والإعرابِ والتَّصريفِ كتابُ (البرهانِ لابنِ الأثيرِ)، وكتابُ ميزانِ الأدبِ في لسانِ العربِ للإسفراييني، وغيرهما.

وممَّا ينبغي للأديبِ واللُّغوي مدارسته بعض القواعدِ الإملائيَّةِ، وخاصةً الهمزة وأنواعها وكيفية كتابتها إنْ كانتْ في أوَّلِ الكلمة أو في وسطها أو في آخرها، وكذلكَ معرفة كتابةِ التاءِ المفتوحةِ والتاءِ المربوطةِ، والتفريق بين الهاءِ والتاءِ المربوطةِ، ألف الوصل وألف القطع والتقاء الساكنين وغيرها، ومن الكتب الإملائيَّة المهمَّة في هذا الباب كتاب المطالعِ النَّصريَّة للهوشاريّ.

تاسعًا: التَّوسعُ في اللفظِ أو ما يعرفُ بالثَّروةِ اللَّفظيَّةِ:

أي المطالعة في كتبِ اللُّغَة كالمعاجمِ اللُّغويَّةِ، وكتبِ ما اتفقتْ حروفُهُ لفظًا ووزنًا أو لفظًا دونَ وزنٍ، واختلفتْ معانيه أو اتفقتْ معانيه واختلفَ وزنُهُ منها؛ لأنَّ معرفَتَها تساعد على التجنيس، والجهلُ بها يؤدي إلى اللَّبس تارةً وإلى الخطأ تارةً أخرى، وكذلك معرفةُ الأسماءِ المقصورةِ والممدودةِ والأفعالِ صحيحةِ الآخرِ ومعتلةِ الآخرِ، والمثال، واللَّفيف، والمنقوص، والمقصور، والعناية بكتب اللُّغة ككتب المتون اللغويَّة، وكتب الفروق، والأمالي، والنوادر، والمترادفات، وغيرها.

عاشرًا: التَّواصلُ الأدبيّ واللُّغويّ:

ينبغي للأديبِ واللُّغوي ألا ينعزلا عن السَّاحةِ الأدبيَّة واللُّغويَّة وأنْ يتواصلا مع أقرانهما من الأدباءِ واللُّغويينَ، وأنْ يتعرفا على الأدباءِ واللُّغويينَ الكبارِ، وأنْ يتصلا بهم ويجالساهم ويخالطاهم ليتعلما منهم فنَّ

الحوارِ الأدبي واللُّغوي، وأنْ يتصيدا بعضَ الطَّرائفِ واللَّطائفِ وما يدورُ بينهم من حكاياتٍ وقصصٍ وأفكارٍ ورؤىً ونوادرَ.

الحادي عشرَ: مجالسةُ الأدباءِ واللُّغويينَ، ومخالطتهم والتَّواصلُ مع النُّقادِ وعلماءِ اللُّغَةِ:

عَلَى الأديبِ وخاصةً الشَّاعر أنْ يتواصلَ مع النُّقادِ، ويعرضَ عليهم شِعْرَهُ، وأنْ يستمعَ إلى نقدِهم، وأنْ يتسعَ صدرَهُ لما يبينونَهُ له من الخطأِ أو الصواب في الألفاظ، أو الصور، أو التراكيب، أو الوزن والقافية، أو المعاني، وينبغي للأديبِ واللُّغويّ ألا يتململَ أو يتضجَّرَ من القسوة والشدة؛ لأنَّ هذا الأسلوب هو الذي يبني ولا يهدم، وألا يكونا في معزلٍ عن مجالسة الأدباء والنقادِ واللُّغويينَ بل عليهما مخالطتهم ومجالستهم وحضور محاضراتهم والاستماع إلى محاوراتهم وآرائهم.

الثاني عشر: الانضمامُ إلى نادٍ أو مجلسٍ أو منتدىً أَدَبِيّ وَلُغَويّ سواء مباشر أو عبر وسائلِ التَّواصلِ الاجتماعيّ:

السَّاحة الأدبيَّة واللُّغويَّة والثقافيَّة مليئةٌ بالأنديةِ والمجالس الأدبيَّة والمنتديات اللُّغويَّة، واللقاءات الثقافيَّة، ولا عُذْرَ لأديبٍ أو لُغويّ، وأصبحتْ هذه المنتديات والمجالس متاحةً للجميع، وخاصةً في هذا العصر عصر الانفتاح التّكنولوجي الإعلامي في ظل وسائلِ التَّواصل الاجتماعيّ المتنوع والمتعدد، ووجود السُّحبِ والمنصات الإلكترونيَّة التي تتيح للأديب واللُّغوي الاستماع والحوار والمداخلة وإبداء الرأي.

الثَّالثَ عشرَ: متابعةُ ما يَسْتَجِدُّ في السَّاحةِ الأدبيَّةِ واللُّغويَّةِ:

لم يعدْ خافٍ عَلَى أديبٍ أو لُغويّ ما يصدر من كتبٍ ومؤلفاتٍ أدبيَّة أو لغويَّة عربيَّة كانتْ أو غربيَّة، وسهولة الحصول عليها أكان ديوان شعر، أو كتاب تراثي محقَّق أو دراسة نقدية أو رواية أو قصة أو رسائل جامعيَّة، بالإضافة إلى المكتبات الورقية أو الإلكترونيَّة العامة والخاصة التِّجاريَّة منها والحكوميَّة الزاخرة بأمهات الكتب القديمة والحديثة، وبالدراسات الأدبيَّة والنقديَّة واللُّغويَّة، وكذلك معارض الكُتُبِ العربيَّة والخليجيَّة والعربيَّة والعالميَّة التي تجلب نفائس الكُتُب في كافةِ المجالات العلميَّة والأدبيَّة واللُّغويَّة والفكرية، وعليه أن يتخير ما يستفيد منه.

الرَّابعَ عشرَ: الاستفادةُ من التَّقنيةِ الحديثة:

التَّقنيةُ الحديثةُ بأنواعِهَا وأصنافِهَا تعدُّ ثورةً في عالم الاتصالِ والتَّواصلِ، وثورةً في المعلوماتِ فلم تعدْ المعلومةُ صعبةَ المنالِ تحتاجُ إلى جُهْدٍ وتَعَبٍ وعناءٍ بل أصبحتْ متيسرةً في متناولِ اليدِ، وذلكَ بسببِ التَّقنية الحديثة التي شهدها العالمُ بأسرهِ، وعلى الأديب واللُّغوي الاستفادةُ من هذه التَّقنية فيما يفيدُهُ وينفعُهُ ويثريه.

المراجع

١- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي بن الحسين الحلبي الأثري، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ.

٢- الألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٣- الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم ، إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، تحقيق: محيي الدين عبدالرحمن رمضان، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط١، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.

٤- توفيق، حكيمي، التنشئة السياسية وتعزيز شعور المواطنة، بحث منشور على الشبكة العالمية، الموقع: https://www.academia.edu/1480381

٥- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٦- القاضي الجرجاني، علي بن عبدالعزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وزميله، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٧- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٠م.

٨- الجريان، د. خالد بن قاسم، الأحدية المباركية أول منتدى أدبي في الأحساء، مكتبة ذخائر الوراقين، القاهرة، ط١، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

٩- الجريان، د. خالد بن قاسم، مقومات صناعة الأديب، بحث غير منشور، ضمن مهرجان جواثى الثقافي الخامس، نادي الأحساء الأدبي، ١٤٣٨هـ.

١٠- الجمحي، محمد ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة.

١١- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.

١٢- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

١٣- الحليبي، د. محمود بن سعود، الحركة الأدبية في مجالس هارون الرشيد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.

١٤- الخطابي، حمد بن محمد بن إبراهيم، بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) للرماني، والخطابي، والجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله أحمد وزميله، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٣م.

١٥- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ.

١٦- خفاجي، د. محمد عبدالمنعم، عبقرية الإبداع الأدبي أسبابه وظواهره، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط١، ٢٠٠٢م.

١٧- ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

١٨- الدخيل، د. حمد بن ناصر، أثر البيئة في تكوين الأديب ثقافيًّا وأدبيًّا (الجاحظ نموذجًا)، بحث غير منشور، ضمن مهرجان جواثى الثقافي الخامس، نادي الأحساء الأدبي، ١٤٣٨هـ.

١٩- الدينوري، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٧٧م.

٢٠- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، مفردات في ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٢١- الربيعي، د. حامد صالح، مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٢٢- الزبادي، أمير سلام وزملاؤه، قراءة في التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بالنفس الإنسانية، بحث منشور على الشبكة العالمية، الموقع:

http://qu.edu.iq/repository/wp-content/uploads/2018/06

٢٣- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٧٣م.

٢٤- الزبيدي، محمد بن محمد المرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، طبعة الكويت.

٢٥- الزجاجي الجرجاني، أبو القاسم يوسف بن عبدالله، عمدة الكتاب، تحقيق: إبراهيم محمد حسن الجمل، دار الفضيلة، القاهرة.

٢٦- السامرائي، ماجد صالح، الاكتشاف والدهشة – حوار في دوافع الإبداع مع جبرا إبراهيم جبرا-.

٢٧- السكوت، د. حمدي ود. مارسدن جونز، موسوعة أعلام الأدب المعاصر في مصر، الجزء الأول: طه حسين، الجزء الثاني: إبراهيم المازني، الجزء الثالث: عبدالرحمن شكري، الجزء الرابع: نجيب محفوظ، الجزء الخامس: عباس العقاد.

٢٨- سويف، د. مصطفى، الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٦٩م.

٢٩- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وزميليه، دار الفكر.

٣٠- شراب، ناجي صادق، السياسة: دراسة سوسيولوجية، دار الجيل للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٤م.

٣١- الشربيني، د. زكريا، وزميلته، تنشئة الطفل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٣٢- الشنتريني، أبو بكر بن السراج، تنبيه الألباب على فضل الإعراب، تحقيق: د. عبدالفتاح الحموز، دار عمار، الأردن، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٣٣- صالح، عبدالهادي، محفزات الإبداع في الشعر – دراسة في التجربة الشعرية المعاصرة، نادي الرياض الأدبي، الرياض، ط١، ٢٠١٦م.

٣٤- الطيب عمر، د. عبدالمجيد، منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة – دراسة تقابليه، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، مكة المكرمة، ط٣، ١٤٣٩هـ.

٣٥- عبدالخالق، د. مفيدة إبراهيم، في الإبداع الأدبي المعاصر، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٣٦- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي وزميله، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.

٣٧- العلوي، المظفر، نضرة الإغريض في نصرة القريض، تحقيق: د. فهمي عارف، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٦.

٣٨- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٣٩- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٦، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٤٠- قبش، أحمد، مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، دار الرشيد، ط٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٤١- القيرواني، ابن رشيق علي بن الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، القاهرة، ط٥، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٢م.

٤٢- الكريم، د.عبدالله جاد الكريم، العربية لغة العقل والفطرة والعبقريَّة، دار النابغة، مصر، طنطا، ط١، ١٤٣٩هـ/٢٠١٧م.

٤٣- لاشين، د. كمال عبدالباقي، الإبداع الشعري عند العرب، دار الزهراء، الرياض، ط١، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

٤٤- ماضي، د. شكري عزيز، في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٤، ٢٠١٣م.

٤٥- المجالي، د. جهاد، دراسات في الإبداع الفني في الشعر، دراسات في الإبداع الفني في الشعر، دار دروب للنشر والتوزيع، عمَّان، الأردن، ط٢، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

٤٦- معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٧٥م.

٤٧- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٤٨- الموسوعة العربية العالمية، مجموعة من العلماء والباحثين، نسخة الإلكترونية، مؤسسة أعمال الموسوعة، ١٩٩٩م.

٤٩- ابن أبي هشام، أبو طاهر عبدالواحد بن عمر، أخبار في النحو، تحقيق: د. محمد أحمد الدالي، الحصائل في علوم العربية وتراثها، دار النوادر، لبنان، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.